إذن هناك فارق كبير ليس بين مضمون المسرح الإسلامي ومضمون المسرح الغربي،بل في شكل كل واحد منهما . وقد لاحظ الأستاذ روجيه عساف أن الأشكال المسرحية الأوربية الحديثة كلها (وظائف مشتقة من مبدأ واحد ، ويتضح أن هذا المبدأ هو إخضاع الإنسان كلياً لفعل التمدن العَلْماني)(٩).ومامن شك في أن هذا المنحى العلماني له منهج ووسائل تختلف عن التصور الإسلامي الذي تشكل الربّانية أبرز ملامحه وخطوطه العامة ، كما مرّ .

وربما لم يكن توفيق الحكيم يصدر عن هذا التصور حين انتهى به الأمر البحث عن (قالبنا المسرحي) ، فقال متسائلاً: « هل يمكن أن نخرج عن نطاق القالب المسرحي ، وأن نستحدث لنا قالباً وشكلاً مسرحياً مستخرجاً من داخل أرضنا وباطن تراثنا) ، ثم قال : إن الإجابة عسيرة ، وتحقيق ذلك أعسر).ولكن الرجل لم يعدم المحاولة، وقد حاول ، كما يلاحظ عليه في المسرحيات التي عرضها في (قالبنا المسرحي)(١٠)قلت ربما لم يكن توفيق الحكيم يصدر عن التصور الإسلامي في هذا السعي ، ولكنه اهتدى بفطرته إلى ضرورة التمايز والافتراق عن الشكل الغربي . . في هذه المحاولة على الأقل ، وإن كانت معظم مسرحياته تصدر عن التصور الغربي مضموناً وشكلاً ، وهو يؤكد دائماً على أثر انتمائه الشرقي على مضامين مسرحياته ، وإن صدق ذلك على بعض مسرحياته فلا يصدق على مسرحياته كلها .

وإذا تجاوزنا المسرح إلى الشعر أو القصة أو الفنون الأخرى ، فإننا لايمكن أن نقبل الأشكال الرمزية والسريالية والوجودية لأن كلاً منها افراز لقاعدة فكرية تنتمي إلى تخبطات الإنسان الأوربي في العصر الحديث ، وبعض هذه المذاهب ماقام على شيء من علم النفس مثلاً ، ولم يصل هذا «الشيء» إالى الحد اليقيني لدى تحقيق علماء النفس أنفسهم ، كالسريالية ، التي اعتمدت على عنصر « اللاشعور » وعالم اللاوعي في النفس الإنسانية ، وهوعنصر غالى به (فرويد) ، وأخرج فيه الإنسان من عالمه الإنساني الواعي إلى العالم الحيواني الغريزي اللامسؤول !! .